من العمود سبباً في اخراج ابي تمام منه اما عند المرزوقي فلم يعد ابو تمام خارجاً عليه وانما منضو تحته .. شأنه شأن البحتري غير ان هذا لايعني ان ليس بينهما اختلاف او انهما لايمثلان تيارين متميزين . انهما حقاً كذلك ولكن في دائرة الشعر العربي على حين انهما كانا عند الامدي يمثلان تيارين منفصلين احدهم داخل الدائرة والاخر خارج عليها .

اركان عمود الشعر ومعاييره :

مربنا ان اركان عمود الشعر كما استقر عليه المصطلح عند المرزوقي سبعة . وقد جعل لكل منها معياراً وفيما يأتي تفصيل ذلك :

١ . شرف المعنى وصحته : والمراد بذلك ان لايكون في المعنى اضطراب اوسوء ترتيب . او انتقاص من بعضه لبعض(٢٣) وعيار هذا العقل الصحيح والفهم الثاقب فاذا ماوجد المعنى قبولاً لدى العقل ولذة وانعطافاً نحوه كان المعنى شريفاً صحيحاً . ويستكره العقل المعاني التي فيها معاظلة وانغلاق والجدير بالذكر ان ابن طباطبا جعل عيار الشعرأن يورد على الفهم الثاقب فما قبله واصطفاه فهو واف ومامجه ونفاه فهو ناقص(٢٤) .

٢ . جزالة اللفظ واستقامته : ويراد بالجزالة هنا اللفظ القوي الشديد وهو خلاف الركيك (وظاهر ان مرجع هذا الى معنى اللفظ المركب او المفرد لا الى مبناه وصورته) .

فليست الجزالة تنافر الحروف ولا تنافر الكلمات وغرابة الكلمة . فأبن رشيق ذكر الجزالة وعطفها على الفخامة(٢٥) .

وعيار اللفظ كما يقول المرزوقي ثلاثة . الطبع والرواية والاستعمال(٢٦) .

اما الطبع فملكة في المنشيء تثقفها المدارسة والرواية . والاستعمال معيار يقاس به الحوشي والمأنوس .

٣ . الاصابة في الوصف : والمقصود ان يصور الشاعر مايريد التعبير عنه تصويراً مطابقاً لواقع الشيء الموصوف في الخارج(٢٧) وعيار هذا حسن التمييز والذكاء(٢٨)

---

(٢٣) محمد الطاهر بن عاشور ، شرح المقدمة الادبية (بيروت ١٩٥٨) ٥٩ ، ٨٠

(٢٤) عيار الشعر ١٤

(٢٥) شرح المقدمة الادبية ٦٣

(٢٦) مقدمة شرح الحماسة ٩

(٢٧) شرح المقدمة الادبية ٦٧

(٢٨) مقدمة شرح الحماسة ٩

٤ . المقاربة في التشبيه : بمعنى ان تكون العلاقة بين طرفي التشبيه قريبة واضحة يسهل ادراكها فتفهم بذلك المقصود من التشبيه . ويلتبس التشبيه على السامع اذا كانت العلاقات بعيدة . ولذلك فأحسن التشبيه ماوقع بين شيئين اشتراكهما في الصفات اكثر من انفرادهما ليستبين وجه الشبه بلا كلفة(٢٩) .

الا ان يكون المطلوب من التشبيه اشهر صفات المشبه به . لانه حينئذ يدل على نفسه ويحميه من الغموض والالتباس . ومعيار ذلك الفطنة وحسن التقدير (٣٠) . .

٥ . التحام اجزاء النظم والتئامها على تخير من لذيذ الوزن : ويريد بذلك ان تكون ابيات القصيدة متلاحمة حتى تكون القصيدة كلها كالبيت . والبيت كالكلمة (تسالماً لاجزئه وتقارناً)(٣١) ولذلك اثره في النفس . فالفهم يرتاح ويطرب لصواب تركيب القصيدة واعتدال نظمها . كما يرتاح الطبع لايقاع النص وصفائه وخلوه من كل مايشين وزنه من الزحافات والعلل او اي خلل عروضي اخر . ولذلك فالطبع واللسان معياران لهذا الركن فلا يتعثر الطبع في بناء القصيدة المكتملة المتماسكة . كما لاينحبس اللسان في وزنه وعروضه(٣٢) .

٦ . مناسبة المستعار مُنه للمستعار له : ويريد بهذا قوة المشابهة بين طرفي الاستعارة اللذين هما في الاصل طرفا التشبيه . وما ينطبق على التشبيه من معايير وما يستحسن فيه من خصائص صالح ايضاً على الاستعارة . فالمقاربة في التشبيه هي المناسبة في الاستعارة . وعيار ذلك كله الذهن والفطنة(٣٣) .

٧ . مشاكلة اللفظ وشدة اقتضائهما للقافية حتى لامنافرة بينهما والمشكلة هي المماثلة والمرافقة . ويريد بالمعنى هنا « الغرض المفاد بالفاظ التراكيب . لا المعنى الموضوع له اللفظ . لان المعنى الموضوع له لايتصور في اشتراط مشاكلة بينه وبين اللفظ الدال عليه . فالمراد ان الغرض الشريف تناسبه الالفاظ الموضوعة لمعان حميدة . وان الغرض الخسيس تناسبه الالفاظ الموضوعة للمعاني الخسيسة(٣٤) .

---

(٢٩) السابق

(٣٠) السابق

(٣١) مقدمة شرح الحماسة ١٠

(٣٢) السابق

(٣٣) السابق ١١

(٣٤) شرح المقدمة الادبية ٧٥

ثم ان المقصود بهذا الركن ان يكون غرض الشاعر من البيت والفاظه يستدعيان الكلمة التي تقع قافية له فتكون المناسبة قوية بين بناء البيت ومعناه من جهة وقافيته من جهة اخرى فلا تكون متكلفة ولا متنافرة . وعيار هذا الدرية والممارسة اللذان يمكنان الشاعر من ان يختار الاخص للاخص والاخس للاخس لان الالفاظ مقسومة على رتب المعاني كما يقول .(٣٥)

ولعلنا نستذكر في هذا المقام اراء الجاحظ بهذا الشأن وقد مر بنا ذلك .

وقد تمثل المرزوقي في معاييره هذه اراء الامدي وقدامة والجرجاني وابن طباطبا وخاصة ماجاء عند القاضي الجرجاني عن العناصر الاربعة اللازمة للشاعر وهي الطبع والرواية والدرية والذكاء . وما ورد عن ابن طباطبا حول قبول الفهم للشعر وحسنه وانه للكلام العدل والصواب .(٣٦)

ولا ريب في ان العقل والفهم والذكاء والفطنة تعبير عن حقيقة واحدة . كما ان الاستعمال وطول الدرية شيء واحد . واذن فأن معايير المرزوقي هي الطبع والذكاء والرواية والدرية . وهي ليست شيئا سوى ما جاء به الجرجاني . الا ان هذا افترض وجود هذه العناصر في الشاعر .. اما المرزوقي فأنه تحدث عن توفرها في الملتقي او المتذوق او الناقد(٣٧)

لقد اقام الجرجاني الشعر على الطبع اولا ثم الدرية ثانيا مثلما اقام حاجة الناقد على (صحة الطبع وادمان الرياضة)(٣٨) فجعل الطبع سابقا على المران والمدارسة ويضيف قائلا فهذان امران ما اجتمعا في شخص فقصر في ايصال حاجتها عن غايته .(٣٩)

تقويم عام :

نظرية عمود الشعر عند المرزوقي تستغرق الشعر العربي كله . لايخرج عنها شاعر واذا كان هناك تفاوت او اختلاف او رفعة او انحدار فانها لاتخرج عن نطاق العمود بأي حال من الاحوال طالما ان لكل شيء وسائط واطرافا فمن التزم

---

(٣٥) مقدمة شرح الحماسة ١١

(٣٦) تاريخ النقد الادبي عند العرب ٤٠٥ ، ٤٠٨

(٣٧) السابق ٤٠٨

(٣٨) الوساطة ٤١٣

(٣٩) السابق.

بالخصال التي حددها العمود بحق وبنى شعره عليها فهو الشاعر المغلق . والا فبمقدار سهمته من هذه الخصال يكون فيه من التقدم والاحسان(٤٠) وهذا اجماع مأخوذ به ومتبع نهجه حتى الان .(٤١) ويعني هذا ان الاختلاف في اساليب الشعراء وخصائصهم لا يلغي انتسابهم الى عمود الشعر ومرد هذا الاختلاف امران . ـ

١ . الالتزام الكامل بخصائص العمود أو ببعضها .

٢ . بلوغ الغاية او دونها في واحدة من هذه الخصائص او اكثر .

فالالتزام بهذه الخصائص ثم الوقوف على الوسائط او الاطراف عاملان اساسيان في تحديد ملامح الشاعر . وفي التطبيق العملي لهذا المبدأ . نجد ان موقف الشاعر من الركن الاول مثلا . شرف المعنى وصحته قد يقوده الى التزام الصدق الواقعي او الغلو والمبالغة فمن آمن بالمبدأ الاول قال (احسن الشعر اصدقه) ومن آمن بالمبدأ الثاني قال : (احسن الشعر اكذبه)(٤٢) وهذا بالطبع موقفان متطرفان والوسط بينهما ان يتصرف الشاعر في الوصف . ولا بأس ان يكون معناه قائما على « المبالغة والتمثيل لا المصادقة والتحقيق » لان على الشاعر ان يبالغ فيما يصير به القول شعرا فقط .(٤٣)

---

(٤٠) مقدمة شرح الحماسة ١١

(٤١) السابق

(٤٢) مقدمة شرح الحماسة

(٤٣) السابق ١١ ـ ١٢